منهج الدعوة وأئمة الدعوة

عبد الله القرعاوي

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار العاصمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـــالمين وصـــلى الله وســـلم وبـــارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نرحب بصاحب الفضيلة الشـيخ/ عبد الله بن إبراهيم القرعاوي، إمام وخطيب الجامع الكبير في بريدة، والذي سـيحدثنا عن منهج أئمة الــدعوة في العبــادة، فنســأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يســـتمعون القـــول فيتبعون أحسنه، ونسـأله جل وعلا أن ينفعنا بما نســـمع، وأن يجعل ذلك في مـــيزان حسـناتنا وحسـنات الشـيخ، ونشـكر الشـيخ على ما تجشم به عناء السفر وحضوره إلى هذا المكان المبارك للالتقاء بكم وإلقاء هذه المحاضرة، فليتفضل مشكورًا مأجورًا.

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـــالمين وصـــلى الله وســلم على نبينا محمد وعلى آله وصــحبه أجمعين، وبعد..

نحمد الله عز وجل على ما منَّ به علينا من نعمة الإسلام، وإنها لنعمة عظيمة، قـال الله عز وجـل: ﴿**وَمَنْ يَبْتَـغِ غَيْـرَ الْإِسْـلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ **[سورة آل عمران، الآيــة: 85]**. وقـــال عز وجـــل: ﴿**قُـــلْ بِفَضْـــلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْـرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ **[سورة يونس، الآية: 58]**. ففضل الله الإســلام، ورحمته أن هــدانا للإســلام؛ فالفرح الذي يثاب عليه هو الفـرح بالإسـلام والعمل بالإســلام، وأما غـــيره فلا يشـــرع الفرح فيه؛ بل هو مذموم كما جاء في قول الله عز وجل: ﴿**حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُـوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾ **[سورة الأنعام، الآية: 44]**، وقوله تعـالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾ **[سورة القصـص، الآيـة: 76]**، وغـير ذلك من الأدلة الـتي تـدل على

ذم الفرح في غير الإسلام والعمل الصالح.

فنحمد الله لا نحصي ثنـاء عليـه، ونسـأله سـبحانه أن يثبتنا على دين الإسـلام وأن يميتنا على الإيمـان؛ إنه وليُّ ذلك والقـادر عليـه، ثم إني أسـأل الله التوفيق والإعانة والتسـديد للقـائمين على وقف الإسـلام الخيري؛ حيث اهتموا بـدعوة شـيخ الإسـلام محمد بن عبد الوهـاب وإنها لهمة عالية رفيعة تـدل على صـحة المعتقد وسـلامة العقيدة.

فـدعوة شـيخ الإسـلام محمد بن عبد الوهـاب رحمه الله حبها إيمـان وبغضـها نفاق؛ لقوله في الأنصـار: «**لا يحبهم إلا مـؤمن ولا يبغضـهم إلا منـافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**». رواه البخاري.

فدعوة شيخ الإسلام يجب حبها؛ لأن هـذا الحديث في الأنصار وفي كـلِّ من نصر دين اللـه؛ فحبه إيمـان وبغضه نفـاق؛ فالإمـام محمد بن عبد الوهاب نصر دين الله فنصره اللـه؛ حيث دعا إلى توحيد الله وإفـراده

بالعبـادة وحـذَّر من الشـرك في عبـادة الله عز وجل، وأمر بإقامة الحــدود وإقامة الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكــر، وهــذا هو الدين الصـحيح الـذي أمرنا الله بـه؛ بل هي دعـوة الرسل عليهم الصـلاة والسـلام؛ كما قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْـهِ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ **[سـورة الأنبيـاء، الآيـة: 25]**، وقال عز وجل: ﴿**وَلَقَـدْ بَعَثْنَا فِي كُـلِّ أُمَّةٍ رَسُـــولًا أَنِ اُعْبُـــدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُـــوا الطَّاغُوتَ**﴾... الآيـة. **[سـورة النحـل، الآيـة: 36]**، وقــال عز وجــل: ﴿**شَـــرَعَ لَكُمْ مِنَ الـدِّينِ مَا وَصَّـى بِـهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْـكَ وَمَا وَصَّـيْنَا بِـهِ إِبْـرَاهِيمَ وَمُوسَـى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الـدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُـوا فِيــهِ كَبُـرَ عَلَى الْمُشْـرِكِينَ مَا تَـدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**﴾... الآية. **[سورة الشورى، الآية: 13]**.

هـــذه هي دعـــوة الرسل مِن أوَّلهم إلى آخـرهم، ومحمد بن عبد الوهـاب رحمه الله نســبت هــذه الــدعوة إليه لأنه جــدَّدَها في القرن الثاني عشـر؛ جـدَّد ما انـدرس منهـا؛ حيث اســتحكمت غربة الإســلام فعبـــدت

الأصـنام والأوثـان وعبـدت القبـاب والقبـور والأضــرحة، وعبــدت الأشــجار والأحجــار وصرفوا لها النذور وذبحـوا لها من دون الله وسـألوها تفـريج الكربـات وإزالة الشـدائد، حتى آل الأمر بهم إلى أن المـرأة إذا أرادت زوجًا وتـــــــأخر زواجها أتت إلى فحل من فحــول النخل وقـــالت: يا فحل الفحـــول أسـألك زوجًا قبل الحـول. وهم مع هـذا في ارتباكٍ في دينهم وفي أمنهم؛ لأنهم يخافون من الشـــياطين ومن الســـحرة والكهـــان والعــرافين والمنجمين؛ فهم في اضــطراب في دينهم واضطراب في أمنهم واضـطراب في قلوبهم؛ لخوفهم من الشياطين، فــرحم الله هـــذه الأمة ورحم الله أهل الجزيـــرة العربية خاصة فقيض هــذا الشــيخ للــدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك.

وإنها لـــدعوة مباركة دعـــوة الأنبيـــاء والمرســـلين؛ يـــدعو إلى توحيد الله وإلى إفراده بالعبادة، يـدعو إلى إقامة حـدود الله على أرض الله، يـأمر بالقصـاص من القاتل المتعمد أو الدية أو العفو، ورَجْم الـزاني إذا كـان محصـنًا، وجَلْـده إذا لم يكن محصـنًا،

وجلد القـاذف وقطع السـارق وجلد شـارب الخمــر؛ فــرحم الله به هــذه الأمة بعد ما انــدرس التوحيد وشــبَّ وكـثر الشــرك في عبادة الله تعالى.

فلمــاذا لا يحبها المســلم إلا لما في قلبه من الدَّغل أو لما في قلبه من النفاق أو لما في قلبه شعبة من شعب النفاق.

نعم؛ يجب حبهــــا؛ لأنها دعـــوة إلى دين الله، إنها دعوة مباركة، وكما أشرنا إليه أنها ليست دعوة الشيخ؛ إنما هي دعوة الرسل، والشيخ جدَّد ما انــدرس منهــا، وكـذلك أئمة الــدعوة من بعــده ســاروا على نهجه وعلى طريقته في توحيد الله والتحـــــــــــذير من الشــرك، وهــذه مصــنفاتهم، وهــذه كتبهم عَذْبٌ زُلالٌ، عقيدة صافية وشـرح للأحـاديث مفيــد؛ ليس فيها شــيءٌ من العقيــدة يُنْتَقَد ويعـاب، ولقد سـبق من العلمـاء من شَـرَح وتوسَّـــع في الشَّـــرح، ومع ذلك يوجد عليه مآخذ في توحيد الأسـماء والصـفات، أو في الإيمــــان بالقضــــاء والقــــدر، أو في توحيد الألوهيـــــة، أو في ما دون ذلك من البـــــدع؛ كالتوسل بالجاه والذوات وغير ذلك.

أما أئمة الـدعوة فهـذه كُتبهم ولله الحمد والمنَّة عَـذْبٌ زُلالٌ صـافية ليس فيها شـيء ينتقـــد، ولهـــذا كـــان علماؤنا رحمهم الله يحثُّون طـالب العلم في ابتـداء طلبه للعلم أن يبـدأ بعد حفظ القـرآن بحفظ الأصـول، وحفظ كشف الشبهات حفظ كتـاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

ثم نقــول للمنصــف: مَن ألَّف مثل هــذا التأليف؟

الجواب: لقد اعـترف الخـاص والعـام أنه ما ســـبق شـــيخ الإســـلام محمد بن عبد الوهـاب إلى مثل هـذا التصـنيف سـابق وما لحقه لاحـق؛ فهـذا كتـاب التوحيـد: هل ألَّفَ أحد مثل تأليفه وتـرتيب أبوابه وإيـراد الأدلة من الكتــاب والســنة وجعل المســائل على ذلـــك؟ ثم ثلاثة الأصــول الــذي لو شــرحه متبحِّرٌ في العلم ممن عنـــده اطلاع وســـعة وأراد أن يتوسَّعَ لصار شرْحُه مجلـدات، وهو لا يستغني عنه الطالب المبتدئ ولا الراغب المنتهي؛ فأئمة الــــدعوة رحمهم الله في تصـــنيفهم ومصـــنفاتهم وتقرير دروســـهم ومنهجهم وأخلاقهم وطـــــريقتهم على منهج

أهل السنة والحـديث، ولـذلك حـاربوا كثـيرًا من البدع.

ولقد تناقش بعض أهل العلم في مسألةٍ؛ هل هي بدعة أم لا؟ فقـــال بعضـــهم: إنها ليست ببدعــة. قــالوا: لمــاذا؟ قــالوا: لأنها مـرت عليها دعـوة شـيخ الإسـلام محمد بن عبد الوهـــاب ولم ينكرها الشـــيخ ولا أئمة الدعوة؛ فهـذا دليل على أنها ليست ببدعـة؛ لأنهم اجتهـــدوا في التحـــذير من الشـــرك ووســـائله وجميع البـــدع، وحرصـــوا على الدعوة إلى التوحيد والعمل بالسنة.

نعم؛ إنهم وفِّقـوا للصـواب لأنهم تحـرَّوا الصواب واجتهدوا فيه ويرجعون إلى الحـق، يرجعون إلى الدليل ويعملون به.

فهذه الدعوة استمَدَّت أصولها من كتـاب الله وسـنة رسـوله وإجمـاع سـلف الأمـة، فعلى هذا يجب أن نحبها في قلوبنـا؛ لأنَّا إذا أحببناها أحببنا التوحيـــد، وإذا أحببنا التوحيد فقد أحببنا الصــحابة وأحببنا الرســول عليه الصـلاة والسـلام وأحببنا ربنا عز وجـل؛ لأن حبَّنا لـــدعوة الشـــيخ من حبنا لربنـــا، وحبُّنا

للصــحابة من حبِّنا لربنــا، وحبُّنا للرســول ﷺ من حبنا لربنــا؛ لأنك أحببت الرســول عليه الصـلاة والسـلام من أجل أنه رسـول اللـه، ودعاك إلى الله وعَرَّفك باللــه، وكـان سـببًا في خلوصك من الشرك واجتنابك له.

فحُبُّ الرســول ﷺ إيمــان؛ لأنه لا يحبه إلا مــؤمن ولا يبغضه إلا منــافق، نســأل الله السلام والعافية، كما جاء في الحــديث: **«لا يــؤمن أحــدكم حتى أكــون أحبَّ إليه من والده وولده، والنــاس أجمعين».** فيجب حبُّ الرسول عليه الصـلاة والسـلام، وهو من مقتضى شهادة أن محمــدًا رســول اللــه، فـإذا أحببنا الرسـول أحببنا من اتبعـه؛ أحببنا من دعا إلى ما دعا إليه واجتهد في الــدعوة وحــرص على ذلــك؛ فكل هــذا من حبِّنا لربنا جل جلاله وتقدست أســــماؤه ولا نحصي ثناءً على الله عز وجل.

فنحن نشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله؛ ففي «عبد ورســــول»: دَفْــــعٌ للإفــــراط والتفريط، وللغُلُوِّ والجفاء؛ فتشـهد أنه عبـدٌ فيها دفع للإفراط وفيها دفع للغلــو، وتشـهد أنه رســول فيها دفع للجفــاء والتفريط في

محبته عليه الصــــلاة والســــلام؛ فمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام دين، وبُغْضُــه نفاق وكفـر، نسـأل الله السـلامة والعافيـة؛ فعلى هـــــذا تعلم أننا إذا أحببنا وإذا أمرنا بحب دعــوة الشــيخ محمد بن عبد الوهــاب فإنما هو من حبنا لرســول الله لا للـذوات فقط، ولكن لِمَا قامت به الـذوات من محبة الله والدعوة إلى الله.

ثم إن الكلمة في بيان منهج أئمة الدعوة في العبادة، والمنهج هو السـبيل والطريـق؛ كما قال عز وجل: **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِـــيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ... الآية. **[سورة يوسف، الآية: 108]**؛ هذه سبيلي أدعو إلى الله؛ إما إلى توحيد الله أو إلى الله؛ لا إلى حظ نفسـي؛ يعـني مخلصًـا بذلك لله؛ فهي تحتمل معنـيين؛ فلا مـانع أن يقال بهما؛ فكلاهما صحيح.

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي: طريقي ومسلكي، **أَدْعُو إِلَى اللَّهِ** على بصــــــيرة أنا ومن اتبعــني؛ أو أنا ومن اتبعــني نــدعوا إلى الله على بصيرة.

بيــان منهج أئمــة: والأئمة تكــون في الخــير وتكــون في الضــلال؛ لأن الأئمة هم القادة؛ يقتـدى بهم في الخـير والهـدى؛ كما قـــال الله عز وجـــل: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**﴾... الآية. **[سورة السـجدة، الآيـة: 24]**، وقال الله عز وجـل: ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ **[ســــــــورة الفرقـان]**، ويكـون أيضًـا أئمة في الضـلال، نسأل الله السـلامة والعافيـة، كما في قوله عز وجــل: ﴿**وَجَعَلْنَـاهُمْ أَئِمَّةً يَـدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَـرُونَ**﴾ **[سـورة القصص]**، وقـال عز وجـل: ﴿**فَقَـاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾ **[سورة التوبة]**. والـدعوة أيضًـا تكـون إلى الخــير وتكــون إلى شــر؛ كما في قوله ﷺ: **«من دعا إلى هدى كـان له من الأجر مثل أجـــــور من تبعه لا ينقص من أجـورهم شـيئًا، ومن دعا إلى ضـلالة كـــان عليه من الإثم مثل آثـــام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئًا»**.

فأئمة الدعوة أئمة خير، أئمة نصر للـدين وللحق وللأمر بـــــــالمعروف وللنهي عن

المنكر.

والعبـــادة هي بالنســـبة إلى الفعل هي التـــذلل والخضـــوع، وأما بالنســـبة إلى المفعول فهي كما عرفها شيخ الإســلام ابن تيمية رحمه اللـــه؛ هي اسم جـــامع لكل ما يحبه الله ويرضـــاه من الأقـــوال والأعمـــال الظـــاهرة والباطنـــة، والعبـــادة لا تصح إلا بالتوحيـــد؛ فنتكلم إن شـــاء الله على توحيد الألوهية وتوحيد العبادة؛ لأن العبـادة لا تصح إلا بالتوحيـــد، والشـــيخ رحمه الله قـــال في ثلاثة الأصـــول لما ذكر قوله عز وجـــل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾ **[سورة البقــرة، الآية: 21]**.

قال ابن كثير رحمه الله: «الخـالق لهـذه الأشياء هو المستحق للعبادة». انتهى.

فالعبادة هي التذلل والخضـوع؛ قـال ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن — مع ذل عابده هما
وعليهما فلك — ما دار حتى قامت
ومداره بالأمر أمر — لا بالهوى والنفس

فالعبـــادة تنبـــني على المحبة والتعظيم،

وبعضـــهم يقـــول: على المحبة والخـــوف والرجاء.

وهذا هو الذي قرره أئمة الـدعوة رحمهم الله في كتبهم؛ قـــالوا: لا نعبد الله بالمحبة وحــدها؛ فمن عبد الله بالمحبة وحــدها فهو من غلاة الصــوفية، ومن عبد الله بالرجــاء وحـــــده فهو من المرجئـــــة، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو من الحرورية.

وإنما نعبـــده جل جلاله محبـــةً له وخوفًا منه ورجـــاءً لـــه، كما في قوله عز وجـــل: ﴿**الْحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ**﴾: فيها المحبـة، ﴿**الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ**﴾: فيها الرجـاء، ﴿**مَالِـكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾: فيها الخوف.

وقد قـــرر أئمة الـــدعوة رحمهم الله في كتبهم؛ كالـــدرر الســـنية وغيرها من الكتب على توحيد الألوهية أتم تقرير وأحسن كلام وأشفى بيان وأوضح تبيـان؛ حيث بيَّنـوا ذلك بيانًا شــافيًا كافيًــا، وســنتكلم إن شــاء الله على أن توحيد الألوهية وعلى أنه توحيد العبادة؛ فتوحيد الألوهية باعتبار إضافته إلى الله يُسمَّى توحيد الألوهية وباعتبـار إضـافته

إلى العابد يسمى توحيد العبادة.

أما توحيد الألوهية فهو كما أشـــــرنا إليه إلى اعتبار إضافته إلى الله عز وجل يسمى توحيد الألوهيــة؛ فعلينا أن نعــرف ما معــنى «الإله»؛ هو الــذي يطــاع فلا يعصــى؛ هيبــةً وإجلالاً ومحبــةً وخوفًا ورجــاءً، وهل يســمى «إله» غير الله.

الجـــواب: نعم؛ لقوله عز وجـــل: ﴿**وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَـرَ لَا بُرْهَـانَ لَـهُ بِـهِ**﴾ الآية **[سورة المؤمنون: الآيــة: 117]**، وقال عز وجل: ﴿**أَئِفْكًا آَلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيــدُونَ**﴾ **[ســـورة الصـــافات]**، وقـــال عز وجل في سورة الأعراف عن قوم موسى أنهم قالوا: ﴿**اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَـةٌ قَـالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ **[سورة الأعراف]**.

كما جاء في حــديث أبي واقد الليــثي لما مرَّ مسلمة الفتح ورأوا ذات أنواط؛ قالوا: يا رســول اللــه: اجعل لنا ذات أنــواط كما لهم ذات أنـــواط، قـــال: «**الله أكـــبر قلتم والـــذي نفسي بيـــده كما قـــال بنو إســرائيل لموسى ﴿اجْعَـلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَـةٌ قَـالَ إِنَّكُمْ قَـوْمٌ تَجْهَلُـونَ﴾**»

[سورة الأعـراف]؛ قـال الله عز وجـل: ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَـانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ **[سورة الأعراف]؛** فلما طلبـوا أن يتبركوا بالشـجر ويعلقـوا سـلاحهم بالشـجر تبرُّكًا سـماها آلهـةً؛ قـال: «**قلتم والـذي نفسي بيـده كما قـالت بنو إسـرائيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال: إنكم قومٌ تجهلون**».

ولكن تسـمية المشـركين «آلهة» للآلهة الباطلة لا يعطيها حق الألوهيـة؛ لقـول الله تعالى في «اللات والعزى ومناة».

قـال عز وجـل: ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْـمَاءٌ سَـمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَـاؤُكُمْ مَا أَنْـزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُـلْطَانٍ**﴾... الآيـة. **[سـورة النجم، الآيـة: 23]**، وقـال عن هـود: ﴿**أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَـاؤُكُمْ مَا نَـزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُـلْطَانٍ**﴾ **[سـورة الأعراف، الآية: 71]**.

فعلى هـذا علمنا أن الإله هو المـألوه المعبـود؛ فمن ألَّهَ الله وحـده فقد عبـده، ومن ألَّه الله وألَّه غـيره فإنه أشـرك في ألوهيته مع اللـه؛ سـواء ألَّه ملكًا أو نبيًا أو ميتًا أو شجرًا أو حجرًا، فإذاً إذا عرفنا معنى

الإله عرفنا النفي والمنفي؛ فـــــــأنت أيها المسلم يجب عليك أن تعـرف ما نفيت في «لا إله»؛ لأنه يوجد من يقـــول: «لا إلـــه» معناه لا قـادر على الاخـتراع إلا اللـه، وهـذا رَدَّه أئمـــةُ الـــدعوة، وهو قـــول الأشـــاعرة ونحوهم؛ قالوا: لا قادر إلا الله. معنـاه: أنهم يقرُّون بتوحيد الربوبية؛ فيـدخل في التوحيد على قولهم هـذا من يـدعو غـير اللـه، ومن يذبح لغير الله يكون ليس بمشرك إذا قلنـا: «لا قادر إلا الله»؛ فقد أقر بهذا المشركون فلم ينفعهم؛ قـــال الله عز وجـــل: ﴿**وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾... الآية. **[سورة لقمان، الآية: 25]**، وقـال عز وجـل: ﴿**قُـلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُــلْ أَفَلَا تَــذَكَّرُونَ * قُــلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَـرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُـلْ أَفَلَا تَتَّقُـونَ * قُـلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُـلِّ شَـيْءٍ وَهُـوَ يُجِـيرُ وَلَا يُجَـــارُ عَلَيْـــهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُـــونَ * سَــيَقُولُونَ لِلَّهِ قُـلْ فَـأَنَّى تُسْـحَرُونَ**﴾ **[ســورة المؤمنــون، الآيــة: 84-89]**؛ فهم مقرُّون بأنه لا قادر إلى الله.

ولهذا لما قـال لهم النـبي ﷺ: «**قولـوا لا**

إله إلا الله تفلحوا». قـال الله عنهم في سـورة «ص» أنهم قـالوا: ﴿**أَجَعَـلَ الْآلِهَـةَ إِلَهًا وَاحِـدًا إِنَّ هَـذَا لَشَـيْءٌ عُجَـابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَـذَا لَشَـيْءٌ يُـرَادُ * مَا سَـمِعْنَا بِهَـذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِـرَةِ إِنْ هَـذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ**﴾؛ فليس معنـاه أنه لا قـادر على الاختراع إلا اللـه؛ ولكن معنـاه: لا مـألوه ولا معبود بحقٍّ إلا الله.

فيه أيضًـا طائفة من المتكلمين يقولـون: المنفيُّ كليٌّ لا وجـــود له في الخـــارج إلا المثبت وهو اللـــــــه. وقد ردَّ عليهم أئمة الدعوة ومن تقدم من العلماء.

أيضًا قال بعضـهم: إنه «لا إله موجـود إلا الله»؛ فهـؤلاء قـالوا: كل ما في الوجـود هو اللـــه. فغلاة المتصـــوفة والاتحادية وأهل الوحـدة ونحـوهم قـالوا: كل ما في الوجـود هو اللـه؛ إن عبـدت شـجرًا فهو اللـه، وإن عبدت شخصًا فهو الله، وإن عبـدت مخلوقًا فهو اللـه، كل الوجــود هو اللـه، فلا إله إلا اللـه، كل الوجـود هو اللـه، وهـذا أيضًـا بين أئمة الدعوة رحمهم الله خطأ؛ هـؤلاء قـالوا

لابد أن نقـول «لا إله موجـود حق إلا الله»؛ لأن هذا يبين معنى ما قلنا أولاً.

لابد أن تعـــرف أن هنـــاك آلهة تعبد من دون اللـــه؛ لكنها آلهة باطلـــة؛ فالإله اسم جنس يطلق على المعبـــود بحق والمعبـــود بباطل؛ ولكنه غلب على المعبود بحــق؛ فهو لا يطلق إلاَّ على اللــه؛ فهـؤلاء عبـدوا غـير الله وزعمـــوا أنهم ما أشـــركوا في عبـــادة الله؛ لأسباب عدم معرفتهم لمعـنى «الإله» الذي نفـوا، على هـذا نعـرف أنه «لا إله» لا معبود بحق إلا الله.

فلو قـال إنســان: أنا لما أقــول «لا إله» قبل أن أقـــــــــول «إلا الله» أنفي جميع «الآلهة»؟

الجواب: هذا ليس بصـحيح؛ أئمة الـدعوة بيَّنــوا خطأ هــذا وقــالوا: إذا قلت: «لا إله» فـــأنت ما تنفي الإله الحـــق؛ ما تنفي جميع الآلهة؛ تنفي الآلهة الباطلة.

فـــإبراهيم عليه الصـــلاة والســـلام حينما قـال: ﴿**إِنَّنِي بَـرَاءٌ مِمَّا تَعْبُـدُونَ**﴾ هل تــبرأ من عبادته لله.

- الجــواب: لم يتــبرأ من عبادته للــه؛ بل تـــبرأ من الآلهة الباطلـــة؛ فأئمة الـــدعوة رحمهم الله بيَّنـوا أنك إذا نفيت فـأنت تنفي الآلهة الباطلة قبل أن تقـــــول: «إلا الله»؛ فـأنت في الأصل ما نفيت ألوهية اللــه؛ لأن ربوبية الله عز وجل قد فطر عليها الخلـــق، والمشركون يعرفون الله ولا أنكـره إلا نـزر قليل ممن كابر وعاند من بني آدم.

فالمشركون الذين نزل القرآن بشــركهم وكفرهم واستبيحت دماؤهم وأمــوالهم، وإذا مـــاتوا على ذلـــك- نســـأل الله الســـلامة والعافيـــة- فهم من الخالـــدين في النـــار، يعــترفون بربوبية الله وبألوهية اللــه؛ لكنهم ما أفردوه بالألوهية؛ كما في تلــبيتهم «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك»؛ أي أن هــذا الشــريك تحت قهـــرك ولكنهم أشـــركوا في هـــذه التلبية؛ فعلينا أن ننتبه لهـذه المسـألة؛ وهي أن المنفي هي الآلهة الباطلة فقط.

وقد ذكر الشــيخ عبد الــرحمن بن حسن عن ابن القيم رحمه الله تعـــــــــالى أن المســـــتثنى وهو «إلا الله» مخـــــرج من

المستثنى منه؛ أي من «لا إله» ومن حكمه أيضًا، وربما البعض يقرؤها ولا يَدْر ما معـنى ذلــــــك، أنا أريد أن نتأملها الآن، وإذا رجع الواحد منا يفتح كتـــاب فتح المجيد ويقرؤها من كلام ابن القيم المستثنى في «لا إله إلا الله»؛ يقول رحمه اللـه: مخـرج المسـتثنى منــــــه؛ أي من الآلهة الباطلة ومن حكمه أيضًا.

أما توحيد الألوهية فهو توحيد الإلـــه؛ وهو كلام فيه بسط وتفصـــــيل لأئمة الــــدعوة رحمهم الله.

فعلينا أن نعرف معنى «الإله»، وما أوقع من وقع في الشــرك وعبــادة غــير الله إلا لأسباب عدم معرفتهم لمعنى الإله؛ لو قلت لأحدهم- الذي يعبد الحسين أو البـدوي: قل لا سـيد إلا اللــه. فقد يتوقـف؛ لكن لو قلت لـــه: قل «لا إله إلا الله». قـــال: «لا إله إلا الله»؛ لأنه لا يعــــرف معــــنى «الإله»؛ أما المشـركون الأولـون فـإنهم يعرفـون معـنى «الإله»؛ لما قـال لهم رسـول اللـه: قولـوا: «لا إله إلا الله». قالوا: ﴿**أَجَعَلَ الْآَلِهَـةَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾.

أما مشـركو زماننا وهم أغلظ شـركًا من الأولين يقـــول: يا عبد القــــادر، يا أحمد البــدوي، يا حســين، يا زينب؛ ينــاديهم من دون الله؛ تقول: قل «لا إله إلا الله». يقول عشر مــرات: «لا إله إلا الله»، وهو يســأل ويـدعو غـير الله ويـذبح لهم؛ لأنه ما عـرف معـنى الإلــه، لو قلت لـه: لا سـيد إلا اللــه، ربما أنه يمتنع؛ فـإنهم غـيروا اللفظ وقـالوا: إنه سـيد؛ إنه ولي؛ فالاعتقـاد واحـد؛ فالـذي يعتقده الأولون في «الإله» هو الذي يعتقده مشركو زماننا في الولي والسيد.

أمـــا توحيـــد العبـــادة فهـــو توحيـــد الألوهية؛ ولكنـه يسـمى توحيـد العبـادة باعتبار إضافته إلى العابد، والعبـادة هي التــذلل والخضــوع والاستســلام؛ كمــا أشـرنا إليـه في قـول ابن القيم رحمـه الله:

وعبادة الرحمن مع ذل عابده هما
وعليهما فلك ما دار حتى قامت

فالمنافق يعبد الله لكنه لا يحب الله يريد شــيئًا من الــدنيا فقــط؛ ولكن الشــأن كل الشأن في عبادته مع الخضوع له والــذل له

ظــاهرًا وباطنًــا، ومحبَّته ظــاهرًا وباطنًا من أنواع العبـادة، وأجـلُّ أنـواع العبـادة؛ بل هو العبــادة «الــدعاء» كما جــاء في الحــديث: **«الدعاء هو العبادة»**. وسـنتكلم إن شـاء الله على أن الـــدعاء عبـــادة وقربة لله عز وجــل، وهو نوعــان: مشــروع، وبدعــة؛ ولو كان خالصًا لله.

- النـوع الثـاني: شـرك بعبـادة اللـه: وهو مســــاواة غـــــير الله مع الله فيما هو من خصائص الله، أو دعاء غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله.

- النــوع الثــالث: دعــاء مبــاح؛ هو دعــاء الحي الحاضر القـادر، ودعـاء الميت؛ وهـذا أبينه إذا وصلت إليه.

- فالأول: دعاء عبـادة؛ وهو على نـوعين: دعاء عبادة ودعاء مسألة؛ فدعاء العبـادة ما جاء في حديث أبي سـعيد أن موسى قـال: يا رب علمـني شـيئًا أذكـرك وأدعـوك بـه. قال: يا موسى قل «لا إله إلا الله».

فدعاء العبـادة أكمل من دعـاء المسـألة؛ لمــاذا؟ لأنه ليس فيه طلب وإنما هو عبــادة

محضــة؛ كقــول: «لا إله إلا الله» وســائر العبادات من صلاة وصيام ونحو ذلك، ودعاء الطلب فيه شـيء أكمل من شـيء؛ فـدعاء الله عز وجل في أمـــور الـــدين أكمل من الــدعاء لأمــور الــدنيا، والكل عبــادة؛ فــإذا دعـــــوت الله عز وجل لأمـــــور دينك فهو أفضل، وإذا دعوت الله في أمور دنياك فهو عبــادة، حــتى لو ســألت الله عز وجل ملحًا لعشائك، أو تــدعو أن ييسر «شسـع» نعلك وربطه إذا انقطع فأنت في عبادة، كما قــال الله عز وجل لما ذكر الأنبيـــاء: **﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّــرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُــرٍّ وَآَتَيْنَــاهُ أَهْلَــهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَــةً مِنْ عِنْــدِنَا وَذِكْــرَى لِلْعَابِــدِينَ﴾** **[سورة الأنبياء، الآية: 83، 84]**؛ إلا قوله عز وجـــل: **﴿إِنَّهُمْ كَـــانُوا يُسَـــارِعُونَ فِي الْخَيْـرَاتِ وَيَـدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَـانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء]**؛ فالدعاء فيه رغبة ورهبة، هذا عبادة ومن أجلِّ العبـادات؛ كما جـــاء في الحـــديث: **«الـــدعاء هو العبادة»**.

وأما الــدعاء الــذي هو بدعــة، فهو دعــاء الله عند القبـــور؛ كـــأن يقف عند القـــبر، ويسأل الله جل وعلا؛ يقــول: «يا الله اللهم اغفر لي» عند القبــور؛ قاصــدًا الــدعاء في المقـــبرة وعند القـــبر؛ ليس أنه لما دخل لتشييع جنازة دعا الله؛ إنما ذهب عند القـبر ودعا؛ لعله أن يستجاب له؛ فهذا دعـاء للـه؛ لكن قصد الدعاء عند القبور بدعة.

ومن الدعاء الذي ليس بمشروع التوسُّل بجـــاه الأنبيـــاء؛ كقــول: «اللهم إني أتوسل إليك بجـاه نبيـك»، هـذا ليس بشـرك؛ لكنه ليس بمشــروع؛ كما بين ذلك أئمة الــدعوة رحمهم الله وغــــيرهم من العلمــــاء؛ أنه لا يجوز؛ لأنَّ التَّوَسُّلَ بالدعاء جـائز، والتوسُّــل بالذَّوات لا يجوز؛ التوسُّلُ بالدعاء جائز.

كما جـاء عن عمـر: «إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتســـــقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسْـــقِنا»؛ أي: بدعائه؛ فهـــذا جـــائز، أما التوسُّــلُ بالــذوات فهو لا يجــوز، وإذا كــان بالدعاء من حي حاضر تطلب منه أن يــدعو لــك؛ لأنه من التوسل الــذي جــاء به بعض الأحـاديث؛ أن تطلب من أحد أن يـدعو الله

لك فهذا أيضًا جائز.

أما التوسل بالأعمال الصـالحة، كما جـاء في حـــديث «أن ثلاثة من بني إســـرائيل دخلـوا الغـار فـانطبقت عليهم صـخرة من الغار فتوسلوا إلى الله بصـالح أعمـالهم...» فهـذا أيضًـا جـائز؛ وإن كـان بعض الشـراح يقـول: إنه لا ينبغي للإنسـان أن يـدلي على الله بعمله؛ فالأفضل أن يعمل العمل الصـــالح، ولا يطلب جـــزاءه من الله في الدنيا.

أما الـدعاء الـذي هو من الشـرك الأكـبر فسؤال غير الله فيما هو من خصائص اللـه، وقد بيَّن أئمة الدعوة رحمهم الله في كتبهم دعاء غير الله؛ كأن يقول: يا رسول اللـه، يا حســين، يا عبد القـــادر، يا فلان، يا فلان؛ يـــدعو ميتًا أو يـــدعو غائبًا أو حاضـــرًا حيًا بشيء لا يقدر عليه إلا الله؛ فسواء دعا ميتًا أو دعا غائبًا أو دعا حيًا حاضــرًا، لكنه دعــاه بشـــيء وطلب منه شـــيئًا لا يقـــدر عليه إلا الله- فهذا أيضًا شرك أكبر؛ لماذا؟ لأنه دعاء معه طلب؛ تقـــول: يا رســـول الله أزل شِــدَّتي، يا حســين فــرج كربــتي؛ هــذا من

الشــرك الأكــبر والــذنب الــذي لا يغفر لمن مــات عليــه، قــال الله تعــالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِـرُ مَا دُونَ ذَلِـكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء، الآية: 48]**، كما قــال الله عز وجــل: **﴿وَمَنْ يَــدْعُ مَــعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَــرَ لَا بُرْهَــانَ لَــهُ بِــهِ﴾ [ســـورة المؤمنون، الآية: 117]**، وأنى له بالبرهـان! من أين له أن يأتي بالبرهان! قال عز وجل: **﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِــهِ فَإِنَّمَا حِسَــابُهُ عِنْــدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيـة: 117]**، وقوله عز وجـل: **﴿وَمَنْ أَضَـلُّ مِمَّنْ يَـدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْـــتَجِيبُ لَـــهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَــافِلُونَ * وَإِذَا حُشِــرَ النَّاسُ كَــانُوا لَهُمْ أَعْــدَاءً وَكَــانُوا بِعِبَــادَتِهِمْ كَــافِرِينَ﴾ [ســـورة الأحقاف، الآية: 5، 6]**.

ومما يدل على أن الدعاء عبـادة أن اللـه عــز وجــل أمــر بــه فقــال: **﴿وَقَـالَ رَبُّكُمُ ادْعُــــونِي أَسْـــــتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْــتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَــادَتِي سَــيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غـافر]**؛ أعــوذ

بالله من جهنم؛ نعـوذ باللـه من المـوت على الكفر وعلى الشرك؛ كما قال ابن القيم رحمه الله:

والله ما خوفي لعلى سبيل العفو
لكنما أخشى تحكيم هذا الوحي

فالمخوف المـوت على الكفر والمعاصي بريد إلى ذلـــــك، والتســـــاهل والميل إلى الشـــهوات من وســـائل ذلـــك، نســـأل الله الســـلامة والعافيــة؛ فالــدعاء إذا كــان معه طلب دعاء الميت ودعاء الغـائب ودعا بـأمر لا يقدر عليه إلا اللـه؛ كـأن يقـول: «يا فلان أصـلح قلـبي»؛ يطلب منه أن يـنزل الهداية في قلبه- فهذا شـرك أما إن قـال: «أصـلح قلبي»، «كن سـببًا في هـدايتي»؛ يعني بِّين لي واقرأ علي آيات- هـذا ليس شـرك؛ إنما الشـرك أن يطلب منه أن يـنزل الهداية في قلبه، والله عز وجل يقـول: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾.

- وأما النوع الثالث: فهو الـدعاء المبـاح؛ وهو مناداة الحي؛ يعني أن تقول: «يا فلان، احمل معي هـــذا»، أو: «تعـــال أريك حاجة معي»؛ هـــذا لا بـــأس بـــه؛ أما دعـــاء الميت

فكيف يكون مباحًا!

- الجــواب: إذا نــادى الميت بــدون طلب ورغبة ورهبة؛ كما جاء في الحديث أن النبي نادى قتلى بدر من الكفار وقــال لهم: **«يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعـــــة، يا شــيبة بن ربيعـــة»** على قولـــه: **«هل وجدتم ما وعــدكم ربكم حقًـا؛ فــإني وجــدت ما وعــدني ربي حقًا».** ما هو الفرق إذا أردنا أن نرد على من استدل بهذا على دعاء الأموات؟!

- الجواب: الفرق بين دعاء الأموات الذي هو شرك، والدعاء الذي هو مجرد- أن الأول دعاء فيه طلب، وهذا ليس فيه طلب؛ مثل: «السـلام عليكم يا أهل القبـور»؛ لم تطلب منهم شيئًا.

أما النوع الثاني: الذي هو الشـرك الأكـبر الـذي تقـدَّم ذكـره فإنه دعـاء وطلب برغبة ورهبة؛ يقول: «يا رسول الله، المدد»؛ هــذا شــرط، «يا حســين، الغــوث الغــوث»، «يا فلان فرج كربـتي»، «يا فلان أزل شـدتي»؛ هذا يطلب منه.

فــالفرق بين دعــاء الميت وبين الجــائز والممنوع أن الممنوع الذي هو من الشــرك الأكـبر والـذنب الـذي لا يغفر هو أن تـدعوه وتطلب منه، والجائز دعاء ليس فيه طلب.

نســأل الله أن يعيننا على ذكــره وشـكره وحسن عبادته، وصلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- جزى الله الشيخ خـير الجـزاء وجعل ما قاله في مــيزان حســناته يــوم القيامــة، نستأذنه في عرض بعض الأسئلة:

- السؤال الأول يقول: يا شيخ، ما رأيكم في من يقـــول: إن دعـــوة الشــيخ محمد بن عبد الوهـاب دعـوة للتفريق بين الناس؟

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ هـذا ليس بصـحيح؛ حيث إن دعـوة الشـــيخ حصل بســـببها التوحيد واجتنـــاب الشرك، حصل بسببها الأمن والأمان والخير والاجتماع والتآلف واجتماع الكلمـة؛ فالقائل إذا كان جاهلاً فيكفيه جهلـه، وإن كـان يعلم ويتعلم فإنه يعـرف أن دعـوة الرسل حصل فيها تفريق بين الحق والباطـل؛ بين أوليـاء الله وأولياء الشيطان؛ فالشرع فَرَّق بـالحق والعـــــدل بين الرجل وامرأته بـــــالطلاق؛ فـالتفريق الـذي في دعـوة الشـيخ من أجل نصر الله وإقامة دينـه؛ فهـذا حق يجب حبه ويجب نصــــره؛ قــــال الله عز وجـــــل: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ يَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُـــــونَ اللَّهَ وَرَسُـــــولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾** الآية **[سورة التوبة، الآية: 71]**؛ قــال الله جل وعلا: **﴿وَالْمُؤْمِنُــونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾**... الآية. **[سورة التوبة، الآيـة: 71]**، وقـال قبلها في

المنــافقين: ﴿**الْمُنَــافِقُونَ وَالْمُنَافِقَــاتُ بَعْضُـــهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَـــأْمُرُونَ بِـــالْمُنْكَرِ وَيَنْهَـــوْنَ عَنِ الْمَعْـــرُوفِ وَيَقْبِضُـــونَ أَيْــدِيَهُمْ نَسُــوا اللَّهَ فَنَسِــيَهُمْ**﴾... الآيــة. **[سورة التوبة، الآية: 67]**.

فدعوة الشـيخ حق وهـدى وخـير وبركـة؛ فيجب حبُّهــا؛ ولكن القائل إن كــان جــاهلاً فيطَّلع على مؤلفات أئمة الدعوة، وينظر ما تقر به عينه إن كان مؤمنًا.

- الســـؤال الثــــاني: ما هو رد فضيلتكم على من يقـول أن التوحيد يمكن معرفته في عشر دقــائق؛ فما عليك إلا معرفة من ربك ونبيك ودينك فقط؟

هـذا ليس بصـحيح؛ حيث إن النـبي ﷺ أخذ عشر سنين يدعو إلى التوحيد قبل أن يدعو إلى بــاقي أركــان الإســلام؛ فهـذا مما يــدل على عظم التوحيد وعلـوِّ قـدره في الـدين؛ فهو للقلب كــالنفس للبــدن؛ فالتوحيد كلما قرأ المسـلم في كتبه ازداد انشـراح صـدْره للتوحيد واســتنار قلبه وصــار كالعطشــان

الذي يرغب في الماء البـارد؛ فهو مـاء بـارد حلــو، والــذي يريد أن يعلم أنه نــاقص في معرفة التوحيد وأنه لا يكفيـــــه، الـــــوقت القصـير؛ فليقـرأ في مـدارج السـالكين في منازل إيـاك نعبد وإيـاك نسـتعين؛ فإنه يعلم نقصه.

فالتوبة مثلاً: بعض الناس يتوب من ذنوبه ومعاصيه؛ فإن كانت التوبة من أجل مــرض يرجو أن يشــفى من مرضــه، أو فقــرٍ يرجو أن يعطيه الله غـــــنى؛ فهـــــذه ليست توبة صحيحة؛ بل التوبة الصحيحة أن يتـوب خوفًا من الله عز وجــل؛ ورجــاءً لما عنــده، مَن الذي بيَّن لنا هذا؟ بيَّن لنا هــذا كتب التوحيد وغــير ذلـك، كما ذكر الشـيخ رحمه الله في فتح المجيد على بـــاب من الشـــرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا؛ ذكر الـذي يعمل لغـير اللــه؛ ذكر أنواعًــا؛ لكن الــذي أشــكل على بعض الناس الـذي يعمل لله خالصًـا ويكـون من الشــرك؛ كيف يكــون من الشــرك وهو يعمل لله؟ ما هو الجواب؟

- الجواب هو: أن هذا يعمل مخلصًـا لـه؛ لا ريــاء فيه ولا ســمعة، ومع هــذا فإنه فيه

شرك أصغر؛ لأنه يرجو مصلحة؛ كمن يعمل عملاً صـــــالحًا من أجل أن يعوضه الله في الــدنيا؛ لكن ما يرجو في الآخــرة شــيئًا، أما من رجى للـــه- يعـــني عمل للآخـــرة- لكنه رجى أن يعطيه الله في الـــــدنيا، فالله عز وجل رغبنا بقولـــه: ﴿**وَأَنْ لَــوِ اسْــتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَـةِ لَأَسْـقَيْنَاهُمْ مَـاءً غَـدَقًا**﴾ **[سورة الجن]**، وقال تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِـهِ مِنْهَا وَمَا لَـهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**﴾ **[سورة الشورى]**.

هل هذا يُعْلَمُ في عشر دقائق؟! بل الذي أعرفه عمن جالســـنا من العلمـــاء أنهم ما يشبعون من القــراءة في كتب التوحيــد، ولا ترتــاح نفوســهم وتطمئن قلــوبهم وتنشــرح صدورهم إلا بقراءة كتب التوحيد؛ لأنها كلما قرأها المســـــلم يجد فيه نقصًـــــا؛ بمعرفة التوحيــد، وطبق هــذا يتــبين لــك، اقــرأ في كتــــاب من كتب التوحيد في فتح المجيد أو غـــيره من الكتب، اقـــرأ أول مـــرة ثم إلى عشر مــرات، والعاشــرة تــزداد في الرغبة والمحبة أكـــثر مما قبلهـــا، هـــذا إذا كـــان

الإنسان فيه إيمـان، وكل علم نـافع ينشـرح فيه الصدر.

العلم يذكرك بالله ويقربك إلى الله.

- السؤال الثـالث: ما رأيكم فيمن يقول: إن مصـادر التكفـير وأصـولها مأخوذة من كتب أئمة الـدعوة، ومثَّل لــذلك بكتــاب الــدرر الســنية لأئمة الدعوة؟

هـذا كما أشـرنا إليه سـابقًا خطأ وجهـل؛ لأن كتب التوحيد ليس فيها تكفـــــير إلا ما أجمع العلماء على كفره من زمن الصــحابة إلى يومنا هذا؛ فهذه كتبهم.

المنصف إذا قـــرأ فيها يســـأل الله قبل ويـــــدعوه فيقـــــول: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإســـرافيل فـــاطر الســـموات والأرض عــالم الغيب والشــهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفـون، اهـدني لما اختلف فيه من الحق بإذنـك؛ إنك تهـدي من تشاء إلى صراط مستقيم، واسـأل ربك أنك تريد الحق واقـــــرأ في هـــــذه الكتب وكررها وكرر بعض المسائل تجد فيها العلم النافع؛ لأنها مستمدة من كتـاب الله وسـنة

رسـوله ﷺ، ومن إجمـاع سـلف الأمـة؛ ليس فيها أهـواء وليس فيها تعسـف، وليس فيها اجتهادات على غـير دليل وعلى غـير شـيء واضح من كتـــاب الله وســـنة رســـوله ﷺ؛ فـالقول هـذا خطـأ، وقائله إن كـان قد قـرأ الــدرر فربما أنه يــوم يقرؤها في نفسه ما في نفسه؛ لأن الذي يقـرأ الشـيء وهو فيه هوى يصـرف عن معرفة الحق حـتى يتجـرد من الهوى، وأدلة ذلك في كتاب الله.

كما قـال الله عز وجـل: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آَيَـاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْـرِ الْحَـقِّ**﴾... الآيـة. **[سـورة الأعـراف، الآيـة: 146]**، يصـــرف عن الحق بســـبب إيش؛ بأسباب الكبر والهـوى وعـدم قبـول الحـق؛ كما قال عز وجل: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَـكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَـلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَـوَاهُ بِغَيْـرِ هُـدًى مِنَ اللَّهِ**﴾... الآية **[سورة القصـص، الآيـة: 50]**؛ فلا شك أن هذا قـول خطأ وأنه قـول باطـل؛ بل هو حـرام أن ينسب الإنسـان إلى أئمة علمـاء نفع الله بهم الإســلام والمســلمين؛ ينسب إليهم أنهم يكفـــرون في أشـــياء لم يجمع العلماء على القول بأنه كفر.

كما قالوا من لدن محمد بن عبد الوهاب

إلى آخـــرهم يقولـــون: نحن نكفر من كفَّر الله وكفَّره رسـول الله ﷺ؛ يعـني: نكفِّر من جـاء كفـرُه صـريحًا في كتـاب الله وسـنة رسـوله ومن نسب إلينا غـير ذلـك؛ فجوابنا أن نقول: سبحانك هذا بهتان عظيم.

- سؤال: هناك من يقسِّم التوحيد إلى أربعة أقسام: الألوهية والربوبية والأسماء والصفات والحاكمية؛ فهل هذا التقسيم مقبول أم لا؟

- الــذي نعرفه أن العلمــاء المتقــدمين قسَّموا التوحيد إلى قسمين وثلاثة أقسام:

- الأول: توحيد في المعرفة والإثبـــات؛ وهـــــذا توحيد الربوبية وتوحيد الأســـــماء والصفات.

- الثــاني: توحيد القصد والطلب؛ هــذا توحيد الألوهية.

فالذي نعرفه عن العلماء المحققين ممن ســـلف من أئمة الحـــديث وغـــيرهم أنهم قسَّموا التوحيد قسمين أو إلى ثلاثة أقسام، وأما النــوع الرابع فلم يتـبين لي أنه يعد من أنــواع التوحيــد، والله أعلم بالصــواب؛ لأنه

داخل في توحيد الأسماء والصـفات كما في قوله تعــالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾... الآيــة. **[ســورة الأنعــام، الآيــة: 57]**، ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**﴾ **[سورة التين]**؛ فالحاكم هو الله عز وجــل، والخلق يحكمــون بحكم الله وحكم رســوله ﷺ؛ فهو إن قصد الصــفة فهي داخلة في توحيد الأســماء والصــفات، والله تعالى أعلم بالصواب.

سـؤال: إن أحــد الــدعاة في شـعره يقول:

الله ربي لا أريد   هل في الوجود

فهل هـــذا الـــبيت يوجد فيه خطأ عقدي؟ أفتونا مأجورين.

نعم.. هذا البيت فيه خطأ عقـدي؛ بل من قـول الاتحادية الباطـل؛ لكن إذا كـان قائله من أهل الســـنة فنحن نـــبيِّن له أنه خطأ وضـــلال، ويجب عليه أن يرجع عن هـــذا القول ويتوب إلى الله؛ حيث إن قوله: «هل في الوجــــود حقيقة إلا هو» من كلام أهل الإلحاد القـائلين بوحـدة الوجـود، وأنه ما ثمَّ موجود قديم خالق، وموجود حادث مخلوق؛

بل هو وجود هذا العالم هو عين وجود اللــه، وهو حقيقة وجــود هــذا العــالم؛ فليس عند القـوم رب وعبـد، ولا مالك ولا مملـوك، ولا راحم ولا مرحوم، ولا عابد ولا معبود. نسأل الله العفو والعافيـــة، نعـــوذ بالله من هـــذا القول وأهله.

سؤال: هنـاك من يفسر «لا إله إلا الله» بقولــــــه: إن معناها إخـــــــراج اليقين الفاسد عن ذات الله من القلب وإدخــال اليقين الصــالح على ذات الله، ما قولكم بـذلك وخاصة أنه قد شاع بين كثير من الناس وجزاكم الله خيرًا؟

وهذا أيضًا قول غلط، ليس هو معـنى «لا إله إلا الله» وليس المـــــراد بـــــ «لا إله إلا الله»، وقد تقـدم بيــان معـنى لا إله إلا الله فيما سبق.

سـؤال: نرجو من فضـيلتكم بيــان منهج أئمة الدعوة في طريقتهم في دعـــوة النـــاس وأســـلوبهم في ذب الشــبهات وقد عرفنا منك تعريفـات

أصولية وفقك الله؟

أئمة الـدعوة رحمهم الله يـدفعون بـالتي هي أحسن؛ كما قـال الله عز وجل في آخر ســـورة النحـــل: ﴿**ادْعُ إِلَى سَـــبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وَجَـادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾... الآية، وهم كما ذكروا هذه الآية أيضًا في مصـنفاتهم قـالوا: الـذي يدلي بالشـبهة إن كـان جـاهلاً فإنه يـبين له الحق برفق ولين ويـدعى لـه؛ لأنه لا يعـان الشـيطان عليــه؛ يــبيَّن له الحق بســهولة ولين، وإن كـان هـذا الـذي يـأتي بالشـبهة يعـــرف الحق ولكن خفي عليه هـــذا الأمر فيكون الكلام عليه أقوى، فـإن كـان يعـرف الحق ويعرف أن هـذا حق كما يعـرف أكـثر النـاس عن دعـوة أئمة الـدعوة رحمهم الله أنه حصل فيها الخـــير في دينهم ودنيـــاهم ولكنه يعانـــد، فهـــذا ينتقل معه إلى القـــول الأقـــوى بل إذا لم ينته ينتقل معهم إلى ما هو أقوى من ذلك.

كما قـــالوا وبيَّنـــوا على قوله في: ﴿**ادْعُ إِلَى سَــبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَــةِ وَالْمَوْعِظَــةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ**﴾ إذا

لم ينفع فيه انتقل معه إلى الجهـــاد أو إلى الجلاد.

سؤال: إني أحبك في الله، ما هي نصيحتكم لطـالب العلم المبتـدئ وما هي الكتب السـلفية الـتي توجهونها إلي وجزاكم الله خيرًا؟

أما قولك أنك تحبني في الله فأحبك الله الذي أحببتني فيـه، وأما سـؤالك عن الكتب فالكتب الـتي ينبغي لطـالب العلم المبتـدئ أن يقـرأ بهـا؛ يبـدأ بحفظ القـرآن؛ فـإن لم يتيسر له فبحفظ شـــيء منه كالمفصل ثم بحفظ ثلاثة الأصول ثم بحفظ كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيـد، ثم بالعقيـدة الواسـطية لشـيخ الإسـلام ابن تيميـة، ثم بمتن من متون الفقه؛ وإن كان لا يلــزم أنه يأخذ بكل قـــول في المتن؛ لأني أرى أنه لا يلزم التمـذهب لمن يسـتطيع أن يجتهد في مسـألة ويتـبين له الحق فإنه يأخذ بالـدليل، لكن هذا إذا كان في ابتداء الطلب فإنه مما يعينه على اختيـــار الـــراجح وعلى العمل بالدليل مما يكون عونًا له أن يختار متنًا من متون الفقه.

وقد كان سـلفنا يـأمرون المبتـدئ بحفظ آداب المشي إلى الصـلاة، ثم بعـده بـالزاد وغير ذلك، ولا أقول أنه يمشي مع الزاد ولا يـترك منه عبـارة إلا ويعمل بهـا؛ بل فيه ما هو مرجوح؛ كتقسيم أنـواع الطهـارة، وغـير ذلك من الأقــوال الــتي استحســنها بعض الفقهـاء وكـان الـدليل بخلاف ذلـك؛ فكونه يختـار متنًا يسـهل له النظر في الأدلـة؛ لأن هذا كـالطريق الـتي تمشي عليها ثم تختصر إن شئت إذا تبيَّن لك الصواب.

وكذلك في الحديث عمدة الأحكام وبلـوغ المــرام إن تيسر بحفظ ذلــك، والتفســير؛ كتفسـير ابن كثـير وتفسـير البغـوي، وغـير ذلك كالكتب الستة؛ كصحيح البخاري؛ يقرأه نَظِرٌ، وكصحيح مسلم، وكتب السنن؛ كسنن أبي داود والنسـائي والترمـذي وابن ماجـه، يقتــني هــذه الكتب ويقــرأ في شــيء من مختصرات السيرة، ويكون له حظ من قيام الليل ومن ســـــــــؤال الله عز وجل في الأســحار، ويكــون له قـــراءة في الكتب المطـولات، وإذا قـرأ شـيئًا جعل فيه علامة في الموقف الــذي وقف عليه ليحل الكتب؛

لأنه يـــؤلم من بعض الطلاب في زماننا أنه قد يكـــــون ما حل كتابًـــــا؛ إنما يتـــــابع المحاضرات والدروس، ولكن ما حل صحيح البخاري من أوله إلى آخره، ولا حل مسـلمًا من أوله إلى آخره، ولا حل السنن من أولها إلى آخرها، ولا قرأ في تفسير ابن كثـير من أوله إلى آخـره، ولا قـرأ كتب ابن القيم من أولها إلى آخرهـا، ولا قـرأ لفتـاوى ابن تيمية من أولها إلى آخرها، ولا قرأ للدرر من أولها إلى آخرها، ولا قرأ فتح المجيد من أوله إلى آخره؛ فإنه إنما يكون طـالب علم يتـذوق أو أنه يكتفي بما يسمع.

وليست هذه من عادات السـلف الصـالح الطـــالبين للعلم؛ كـــانوا يختـــارون العلمـــاء ويجلسون عنـدهم؛ لكن في وقت فـراغهم؛ قد رتبوا أوقاتهم على كتب؛ مثل قبل طلوع الشمس يقرأ في كتـاب ابن تيميـة، وبعـدها يقـــرأ في كتب ابن القيم وبعد الظهر يقـــرأ في الدرر السنية، يقرأ ثلاث ورقـات أو أربع أو خمس، ثم يجعل موقفًـــا، حـــتى إذا جـــاء من الغد يقــرأ منه ويكــون له حظ من كتب اللغة وكتب الحـــديث ومصـــطلح الحـــديث

وغير ذلك، ويحرص كل الحــرص مع ســؤال الله ودعائه.

ذكر ابن تيمية رحمه الله أنه كـان يـذهب إلى المســـاجد القديمة ويضع خــــده على الأرض ويســأل الله أن يفتح عليــه؛ نعم هو فتح، العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاص.

وفي شـــرح مصــطلح الحــديث ذكر عن أنــاس يجلســون يتــذاكرون العلم أربعة أو خمســة، وكــان يــأتيهم إنســان ويشــوش عليهم؛ لأنه لا يعـرف ولا يـدري ما يقولـون، فيكــثر الســؤال، فلما أكــثر عليهم ملــوا وسئموا منه فجعلوا يغلقـون البـاب قبل أن يأتي فيجلس من محبته للعلم ورغبته للعلم خلف الباب ويسمعهم يتــذاكرون، ففتح الله عليه، فصار إذا أشكل عليهم شـيء أجـابهم من وراء الباب ففتحـوا له البـاب فكـان بعد ذلك هو شيخهم.

فــالعلم نــور وفتح من الله وهبة من الله يمن به على من يشـاء من عبـاده، فيحتـاج مع بــذل الأســباب دعــاء الله وســؤال إلى حفظ اللســـان من الوقعية والســب؛ من

سب العلماء ونحو ذلك.

ونــرى بعض طلاب العلم يتجــرأ إذا كــان في المسـألة قـولاً مرجوحًا تجـرأ على هـذا العالم الذي بذل وقته في طاعة الله وبــذل عمــره مع قلة في الــدنيا وإقبــال على الله وإقبال على الآخرة رغبة فيما عنــده، وليس كما في زماننا الإنسان يطلب العلم لشهادة أو غيرها ما كـــان عنـــده نية في ذلك إنما يسهر طول الليل ما يرجو أن يجعل مدرسًا ولا يجعل كذا ولا يجعل ولا يعين في كــذا أو يرتب له شــيء؛ إنما محبة في العلم ورغبة في العلم ففتح الله عليهم.

ذكر بعض الأئمة في مصطلح الحديث أن طالبًا للحـــديث أثنـــاء خروجه ومعه كتب الحديث نزل عليه مطر في الطريق يقــول: فــانحوى على الكتــاب؛ لئلا يصــيبها المطر وصـار المطر يصب على ظهـره ولا يتحـرك إكرامًا لكتب الحديث فرؤي في المنــام بعد الممات فقـال: غفر لي؛ لإعظـامي وإجلالي لحديث رسول الله في تلك الليلة.

وذكر عن الإمام أحمد رحمه الله أنه كان

قد عــزم أن يــذهب إلى عبد الــرزاق في اليمن، وأنه مر على مكة ورآه عند المقـام، وقال له صاحبه هذا عبد الــرزاق وأنت تريد أن تـذهب إليه في اليمن، قـال: لا، إنا نوينا أن نذهب إليه في اليمن نتركه حـتى يـذهب إلى اليمن فــإذا ذهب نأخذ منه من هنــاك، كل هذا من أجل الاحتساب لا يرجـون راتب ولا رتبة، لا ثنـاء ولا مـدح أغلبهم كلهم على هذا المنوال ولا عنـدهم مـراكب ولا عنـدهم ملابس ولا عنــدهم مســاكن، والآن الواحد من طلاب العلم منا مثل الملـوك أو التجـار ما بينه وبينهم شــيء يعــني يريد التجــارة ويريد الفخر ويريد الشهوات ويريد العلم.

العلم عزيز شريف:

ولو أن أهل العلم ولو عظموه في
ولكن أذلوه فهانوه محياه بالأطماع

أي لو صــانه طــالب العلم لصــانه العلم وعظمه ورفعــــه، أي رفعك الله بــــه، لكن أوتيت من قبل نفسك فبعض طلاب العلم يتســـاهل في الاســـتخفاف في العلمـــاء والمتقــدمين، والاســتهانة بهم وفي كتبهم، حـتى ولو كـان قـولاً مرجوحًا فإنه لا ينبغي،

ما لم يكن من الشــرك ومن البــدع؛ بل أثر عن بعض علمائنا رحمهم الله أنه قرئ عليه في شـــرح النـــووي أو في شـــرح صـــحيح البخاري فتح الباري ومــرَّ عليه تأويل شــيء من الأسماء والصفات أنه يضع رأسه ويبكي طويلاً، قيل له: لماذا؟ قـال: إن هـذا العـالم الـذي ويثـني عليـه، ثم هـذه المسـألة أخطأ فيها؛ فأنا حزنت لما سمعت من هـذا الكلام ما قـال يتبجح: كيف كـذا وكيف كـذا، بل أن بعض النـــــاس يجـــــترئ على العلمـــــاء ويستنقدهم في مسائل الفقه ما ينبغي لــه؛ بل هم اجتهدوا بل هم حرصوا بل هم تعبــوا واجتهــدوا كما اجتهد غــيرهم لكن الله أعلم الصواب.

الصـــواب لمن معه الـــدليل لكنه يجب توقــيرهم واحــترامهم ومحبتهم، وهــذا من أسباب تحصـيل العلم. هـذا ونسـأل الله عز وجل أن يمن علي وعليكم بـــالعلم النـــافع والعمل الصالح.

اللهم فقهنا في دينك واجعلنا اللهم من الــدعاة إلى ســبيلك، اللهم فقهنا في دينك واجعلنا اللهم من الدعاة إلى سـبيلك، اللهم

فقهنا في دينك واجعلنا اللهم من الـــــدعاة إلى ســــبيلك، اللهم اجعلنا من العلمـــــاء العــاملين وذرياتنا إلى يـــوم الـــدين، اللهم نســـأل أن تغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولجميع المســــلمين والمســــلمات والمؤمـــــنين والمؤمنـات الأحيـاء منهم والأمـوات، اللهم وفق ولاة أمرنا في أقوالهم وأفعــالهم، وأن يجمع شملهم وشمل المسلمين على الهدى كما نســـأله أن يوفق القـــائمين على هـــذا الوقف وأن يســـددهم لأنهم أحســـنوا في اختيـــارهم في بيـــان منهج أئمة الـــدعوة فنشكرهم ونـدعو الله أن يـوفقهم بما يحبه ويرضــاه وأن يؤيد وأن ينصر من نصر الحق كائنًا من كان.

اللهم انصر من نصر الحق كائنًا من كـان واخـذل من خـذل الحق كائنًا من كـان إنك ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * *